آيات العبادات القلبية في سورة الانعام(دراسة موضوعية)

Verses on Acts of the Heart in Sūrat Al-Anʿām (A Thematic Study)

شهد حميد فاضل محمد

Shahad Ḥamīd Fāḍil Muḥammad

أ.د. احمد محمد احمد

جامعة سامراء/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم العقيدة والفكر الإسلامي

University of Samarra / College of Islamic Sciences / Department of Creed and Islamic Thought

الكلمات المفتاحية: سورة الانعام،العبادة، السلوك، الصلاح، الصيام.

Keywords: Sūrat al-Anʿām; worship; behavior; righteousness; fasting.

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان آيات العبادات القلبية في سورة الأنعام من خلال دراسة موضوعية تحليلية، تُبرز مفهوم العبادة وأنواعها وأهميتها، مع التركيز على العبادات القلبية بوصفها أساس الإيمان ولبّ العبودية. وقد تناول البحث مفهوم العبادة لغةً واصطلاحًا، مبيّنًا شمولها لأعمال القلوب والجوارح، ثم عرض لأنواع العبادة من حيث عمومها وخصوصها، مع بيان مكانة العبادة القلبية ودورها المحوري في قبول الأعمال وصلاح السلوك، كما عالجت الدراسة التعريف بسورة الأنعام، وبيان اسمها وفضلها ومكان نزولها ومقاصدها العامة، والتي يأتي في مقدمتها ترسيخ التوحيد، وتصحيح العقيدة، وتزكية القلوب من الشرك والانحراف. وأظهرت النتائج أن سورة الأنعام ركّزت على معالجة فساد القلوب الذي كان سائدًا لدى المشركين، وربطت بين الانحراف القلبي والانحراف التشريعي والسلوكي، وخلصت الدراسة إلى أن العبادات القلبية هي أصل كل عبادة، وأن إصلاح الفرد والمجتمع، ونيل رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة، لا يتحقق إلا بإحياء هذه العبادات وتعميقها في النفوس، وفق منهج قرآني راسخ.

Abstract

This study aims to elucidate the verses related to acts of inner worship in Surah Al-Anʿām through an objective analytical approach that highlights the concept of worship, its types, and its significance, with particular emphasis on inner acts of worship as the foundation of faith and the essence of servitude to God. The research examines the concept of worship from both linguistic and terminological perspectives, demonstrating its inclusiveness of both inward (heart-based) and outward (physical) acts. It further discusses the types of worship in terms of generality and specificity, while clarifying the status of inner worship and its pivotal role in the acceptance of deeds and the soundness of conduct, The study also addresses an introduction to Surah Al-Anʿām, explaining its name, virtue, place of revelation, and overall objectives, foremost among which are the establishment of monotheism, the correction of creed, and the purification of hearts from polytheism and deviation. The findings reveal that Surah Al-Anʿām places significant emphasis on addressing the corruption of hearts that prevailed among the polytheists, linking inner deviation to doctrinal and behavioral deviation, The study concludes that inner acts of worship constitute the foundation of all forms of worship, and that the reform of individuals and society, as well as attaining God's pleasure in this world and the Hereafter, can only be achieved through reviving and deepening these acts within the human soul in accordance with a firmly grounded Qur'anic methodology.

المقدمة

تُعدّ العبادات القلبية من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية وأجلّها أثرًا في بناء الإنسان الصالح، إذ يقوم عليها أساس الإيمان، وبها تستقيم الأعمال الظاهرة وتُقبل عند الله تعالى. وقد اعتنى القرآن الكريم بإبراز هذا النوع من العبادات عنايةً بالغة، فجعل القلب محلّ النظر الإلهي، ومنطلق التزكية والإصلاح، ومناط القبول والرد. وتأتي سورة الأنعام في مقدمة السور التي عالجت قضايا العقيدة والعبودية معالجةً شاملة، حيث ركّزت على تصحيح التوحيد، وتطهير القلوب من الشرك والشبهات، وترسيخ معاني الإخلاص، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، وسائر العبادات القلبية التي تُعدّ روح الدين وجوهره.

وانطلاقًا من أهمية هذا الموضوع، تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على آيات العبادات القلبية في سورة الأنعام، وبيان مفاهيمها، وأنواعها، وأهميتها، وربطها بمقاصد السورة العامة، من خلال منهج موضوعي تحليلي يُبرز أثر هذه العبادات في إصلاح الفرد والمجتمع، ويكشف عن دورها في تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، خاصة في ظل ما تشهده المجتمعات من غفلة واضطراب في الموازين القيمية والإيمانية.

المبحث الأول

مفهـوم العبـادة، وأنواعهـا، وأهميتهـا وفيه:

المطلب الأول

مفهوم العبادة

١- في اللغة:

العبـادة مفردهـا "عَبَـدَ" وهي كلمة يدور معناها في الغالب حول الطاعة والخضوع بالإضافة إلى معانٍ أخرى منها ما لا يتعلق بموضوعنا مثل: البعير الجَرِب، أو النبات الطيب الرائحة، وقيل: النصل القصير العريض وغيرها(ابن دريد، ١٩٨٧، ٢٩٩/١) ومنها ما يقرب لمعناها وينسجم مع مقاصدها وأبعادها والذي يهمنا من ذلك هو المعنى القريب الذي يدخل ضمن مفهوم العبادة والتي منها:

الإنسان: حرًا أو رقيقًا فهو عبدٌ لله.

المُلك كقولهم: عبدٌ مملوك، أو عَبدُ الله.

وعبَد يعبُد عِبادة لا تقال إلا لمن يعبد الله.

الطاعة من قوله تعالى:﴿ ﴾ (سورة الفاتحة، الآية: ٥).

التذلل كقولهم: "طريقٌ معبد، أي: مذلل لكثرة الوطء عليه"(ابن سيده، ١٩٩٦، ٦٢/٤).

الخضوع من قولهم: "فلان عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره"(ابن منظور، ٢٠٠٥، ٢٧٣/٣، ٢٧٤).

والفرق بين العبد الحر والعبد المملوك من حيث الجمع إن الأول جمعه "عِباد" والأخير جمعه "عبيد".

في الاصطلاح:

ولم يختلف معناها في الاصطلاح عما ورد في اللغة فقد اتفق العلماء على أن معنى العبادة وأساسها في الأصل هي الطاعة التي يلازمها الخضوع والتذلل.

ومن أهم ما ذهبوا إليه في بيان معناها قائلين هي:

أقصى غاية الخضوع والتذلل: وغاية الخضوع هذه خصيصة يختص بها الله عزوجل وحده؛ لأنه المنعم المتفضل.

إقامة الشرع: بالانقياد لما أمر به الله واجتناب ما نهى عنه مع التذلل والاستكانة(ابن عطية، ٢٠٠١، ٧٢/١).

وللعلماء في مسألة الخضوع قولان:

القول الأول قالوا: أنه يكون في القلب وذهب إلى هذا كل من البيضاوي، والجرجاني، والراغب الأصفهاني (الأصفهاني، ١٩٩٩، ١٤٨/١).

القول الثاني قالوا: أنه يكون في البدن مستدلين بقوله تعالى:﴿ ﴾(سورة الشعراء، من الآية: ٤).

وأقول: إن المخاضعة بالكلام تقتضي خضوع البدن لقوله تعالى: ﴿ ﴾(سورة الأحزاب، من الآية: ٣٢)

أي: الشهوة المؤدية لارتكاب الزنا(الطبري،٢٠٠٠، ٢٥٨/٢٠).

ومن العلماء من عرف العبادة بشيء من لوازمها فقالوا هي:

"ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود"(ابن الأنصاري، ١٩٩١، ٧٧/١).

وكذلك قيل: هو "فعل خلص لله بالاختيار تعظيمًا له بإذنه"(السيوطي، ١٩٩٨، ٧٥/١).

وقالوا أيضًا هي: "اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة"(السعدي، ٢٠٠٠، ٣٩/١).

فنستخلص مما سبق أن معنى العبادة هو: الطاعة وهي تصدر إما عن طواعية أساسها المحبة والاخلاص فيلازمها التذلل، والخضوع دون انفكاك.

أو تصدر عن اجبار أساسه الإكراه والارتياب أو مصلحة دنيوية فيلازمها الذل والخضوع، والاستسلام.

المطلب الثاني

أنواع العبادة

تباينت الآراء وترددت الأقوال حول أنواع العبادة وتقسيماتها ونقطة التباين تتمحور حول تقسيمات هذه الأنواع فمنهم من حصرها بقسمين، ومنهم بثلاثٍ وأربعٍ.

وبعد امعان النظر في هذه التقسيمات ارتأينا ذكر أنواع العبادة من حيث العموم والخصوص، والأداء، وما يترتب عليها من الأحكام.

فمن حيث تعلقها بالخلق فهي نوعان:

١- **عبادة عامة شاملة:** ويطلق عليها العبادة الكونية، أي: الخلق أجمع مؤمنهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم خاضعين لإرادة الله ومشيئته بأي شكل من الأشكال وحكمه نافذٌ فيهم لا محالة قال تعالى:﴿ ﴾(سورة مريم، الآية: ٩٣).

إذ أن مفهوم العبادة كما أسلفنا ليس مقتصرًا على جملة العبادات المشرعة المخصوصة بل المعنى أشمل وأوسع من ذلك.

٢- **عبادة خاصة:** ويطلق عليها العبادة الشرعية وهي العبادة المتمثلة بالتذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى القائمة على أداء العبادات الشرعية المخصصة للمكلفين بها فهي تختص بالمؤمنين بالله عزوجل الحريصين على طاعته القائمين بأمره المنتهين بنهيه قال تعالى: ﴿ ﴾(سورة الزمر، الآية: ١٧، ١٨).

ومن حيث أدائها والقيام بها فهي:

١- **عبادة القلب:** إن باعث العبادة القلبية هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى فهو أساس العبادات وأصلها والعبادة القلبية منها ما يتعلق بين العبد وربه مثل: الخوف والرجاء، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والمحبة، والنية، والطمأنينة والرغبة، والرهبة، ومجاهدة النفس، والإيمان، الإخلاص، والإحسان، والصبر، والتوكل والتذلل، والخضوع، وحسن الظن، واليقين، والتصديق وغيرها الكثير. ومنها ما يتعلق بالحقوق والواجبات بين العباد أنفسهم، مثل: حب الخير للغير، وإفشاء السلام ورده، وإماطة الأذى، وأداء الأمانات، وحفظ العهود، والتواضع والتعاون، والتودد، والتراحم، وحفظ النفوس والأموال والأعراض، وطلاقة الوجه وعذوبة الكلم، والكرم، وتجنب الغيبة والنميمة والسخرية وغيرها الكثير.

ومنها ما يتعلق فيما بينه وبين الله وبينه وبين الخلق، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والدفاع عن الدين والانتصار له وما إلى ذلك(الغزالي، ٢٠٠١، ١٤).

٢- **عبادات الجوارح:** باعثها العبادة القلبية وهي العبادات التي تؤدى بجوارح الإنسان الخمس، مثل: (السمع، البصر، اللسان، اليدين، الرجلين) وقد تشترك كلها أو بعضها أو أحدها في أداء العبادات.

فقد خصص الله لكلٍ من هذه الجوارح عبادة تخصها، مثل: الصلاة والصيام، والزكاة، والصدقة، والحج، والجهاد، والذكر، والكلم الطيب، والدعاء والوضوء، والتيمم، وقراءة القرآن، والحلف، والوفاء بالنذور، والكفارة وغيرها(الغزالي، ٢٠٠١، ١٤).

المطلب الثالث

أهمية العبادة القلبية

للقلب أهمية بالغة، ومَكرُمة كبيرة، وفضيلة يتميز بها عن سائر الأعضاء الأخرى، وهذه المزية قائمة على عِظم مكانته عند الله تبارك وتعالى وتشريفه له في كثير من المواضع، فهو محل نظر الله تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قُلوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**(مسلم، ٢٠٠٦، ١٩٨٧/٤).

قال الإمام الغزالي (رحمه الله): "إنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية"(الغزالي، ٢٠٠٤، ١٧٣١).

فهو الذي عليه مدار الأعمال، وحقائق الأفعال، ومكاسب الإنسان كلها راجعة إليه ومبنية عليه، قال سبحانه وتعالى:□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □(سورة البقرة، الآية: ٢٢٥).

وقوله: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □(سورة الشعراء، الآية: ٨٨، ٨٩).

فالعبادات القلبية هي أصل العبادات كلها وروحها ولبها، وما عداها تابع ومتمم وملازم لها، وصلاح الأنفس والأعمال الظاهرة قائم على صلاح القلوب وعمارتها

بالإيمان، والمحبة، والإخلاص، والإنابة إليه سبحانه وتعالى(الشريف، ٢٠١٠، ٢٣-٢٤).

قال الإمام ابن القيم(رحمه الله): خلق الله قلوب العباد وجعلها محلًا لمعرفته ومحبته وإرادته وهو الذي به حياة البدن والجوارح وفي هذا تشريفٌ وتعظيمٌ(ابن القيم، ٢٠٠٤، ٦٥-٦٦).

وإن الإيمان بالله تعالى، ومعرفته، ومحبته لا تتمكن من قلبٍ ما لم يخلُ من حُجب الشهوات، والشبهات والتنزه عن المنكرات التي تحيل بين المرء وقلبه فتحجب عنه نور الإيمان والهداية، وتعيقه من بلوغ المرام والغاية.

ومما يذكر في هذا الجانب:

قول الإمام الغزالي(رحمه الله): لن تحل معرفة الله تعالى في القلب ما لم يرتحل ما سوى الله عنه، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، والرياضة للقلب، تكون

بإماطة الشهوات، مثلُ تصقيل الجلاء للمرآة مستدلًا بقوله تعالى:□ □ □ □□ □ □ □ □(سورة الأحزاب، من الآية: ٤).

وتأسيسًا لما سبق تتبين لنا أهمية العبادات القلبية في امور منها:

١- **قبول الأعمال:** فالعبادات البدنية التعبدية لابد أن يسبقها الإيمان والاعتقاد الجازم بالله، فالإيمان متى ما قر واستقر في القلب كان أوجب في الإقبال على الأعمال وآكد على الإتيان بها وأرجى لقبولها فمن حكمته تعالى أن جعل الترابط جليًا لازمًا بين الباطن والظاهر، قال تعالى:□ □ □ □ □(سورة المؤمنون، من الآية: ١١٥).

فجعل الله لكل جارحةٍ من جوارح الإنسان عبادةٌ يؤديها لا يصح عملها دون عمل القلب والباطن إذا كان مناقضًا للظاهر ففيه إبطال الشرع فأساس الأعمال وصحتها وما يترتب عليها من حيث قبولها وآثارها؛ مبنيٌ على إرادة القلب وعبادته وصدق إخلاصه قال تعالى: ﴿ ﴾(سورة الحج، من الآية: ٣٧).

وقال أيضًا: ﴿ ﴾(سورة المائدة، الآية: ٢٧) ناهيك عن كون العبادات القلبية تكون عِوضًا عن العبادات البدنية عند العجز عنها وعدم القدرة على إتيانها والشروع فيها كما قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيرْه بيدِه، فإن لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه وذلك؛ أضعفُ الإيمانِ»**(مسلم، ٢٠٠٦، ٦٩/١).

وقال تعالى: ﴿ ﴾(سورة النحل، الآية: ١٠٦).

فإن مجرد التفكير مع صدق النية في عبادةٍ ما كفيلٌ في تحصيل الأجر والثواب وذلك عند قيام العذر ووجود المانع، قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا ما سِرْتُمْ مَسِيرًا ولا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلا كَانُوا مَعَكُمْ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قال وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»(البخاري، ٢٠٠٢، ١٦١٠/٤)** فدل هذا الحديث على أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل(الشريف، ٢٠١٠، ٢٥-٢٦).

ولها مزية أخرى؛ ألا وهي ملازمتها للإنسان في صحوه ونومه، وصحته ومرضه، وحضره وسفره بخلاف العبادات البدنية التي قد تتوقف كليًا أو جزئيًا عند قيام العذر ووجود المانع بترخيصٍ إلهي من ذلك قوله تعالى: ﴿ ﴾(سورة النساء، من الآية: ١٠١).

٢- صلاح الفرد والمجتمع: إن الشريعة الإسلامية غايتها تكوين بيئةٍ صالحةٍ تنهضُ وفق أسسٍ سليمة وأنظمة قويمة مستمدة أصولها من كتابها القويم وسنة نبيها الكريم.

إذ أنها تقوم أولًا بتوجيه الأفراد نحو إصلاح القلوب التي بها صلاح النفوس وذلك من خلال ما سنته وشرعته لهم من توجيهاتٍ وعباداتٍ تلائم البشرية كافة لتخرجها من دهاليز الظلام إلى نور الهداية والوئام.

لذلك قال الله تبارك وتعالى واصفًا هذه الأمة:﴿ ﴾(سورة آل عمران، من الآية: ١١٠) وصلاح العبد يكمن بصلاح قلبه الذي به صلاح جوارحه كلها والتي يترتب عليها صلاح دنياه وآخرته وكذا العكس كما قال عليه الصلاة والسلام: **«الا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ»**(البخاري، ٢٠٠٢، ٢٨/١) ومن لوازم صلاح قلبه معرفته بالله سبحانه وتعالى الناشئة عن التفكر في ملكوت خلقه ودلائل وحدانيته

وقدرته، فيحصل له العلم الذي يتغير به حال قلبه من إيمانٍ عميقٍ وتوحيدٍ سديدٍ يستدل به على وجود الخالق وأحقيته بالعبادة والإنابة.

ولا ينفع علم دون إجادة التمييز بين الصحيح والسقيم، والحسن والقبيح ليجتني بذلك ثمار معرفته وعلمه "فالقلب الصحيح الحي إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها، ولم يلتفت إليها؛ بخلاف القلب الميت فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح".

ولن يتمكن العبد من هذا كله؛ إلا بإعانة الله له فإن الإنسان بطبعه فقير إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره فأصبح سؤال الله الهداية لازمًا وواجبًا يقتضيه حاله.

وأصبحت دعوة:﴿ ﴾(سورة الفاتحة، الآية: ٦) فوق كل ضرورة وفي حق أي أحد "فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده، أو أكثر منه أو دونه وما لا نقدر عليه – مما نريده – كذلك وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر ونحن محتاجون إلى الهداية التامة فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام".

ولا يكفي حصول العلم والهداية في بلوغ الغاية وحسن النهاية؛ بل لابد من إقتران ما سبق بالإرادة الباعثة على إتباع الحق وتحصيله وإجتناب الباطل وتبديده(ابن القيم، ٢٠٠٢، ٢٠، ٢٤).

ومن هنا تكمن حكمة؛ لا ينفع إيمان دون عمل، كما لا ينفع عمل دون إيمان لأجل هذا قرنت العبادات القلبية بالعبادات البدنية وعلى الرغم من أفضلية العبادات القلبية؛ إلا أن للعبادات البدنية الفعلية أفضلية أيضًا من حيث تعزيز عبادات القلب وإحداث النفع بالسبق لكل فضيلة والتخلف عن كل رذيلة.

٣- نيل نعيم الدنيا والآخرة: لن ينال الإنسان الصلاح في الحال والفلاح في المآل والظفر بالجنان؛ إلا بصلاح قلبه وتطهيره مماعلق به من أمور الدنيا ومادياتها لاسيما في ظل ما نحن فيه الآن من زيادة الأهواء والبدع، وإنبثاق الضياع والخدع

قال تعالى: ﴿ ﴾(سورة الشعراء، الآية: ٨٨، ٨٩).

فصلاح القلب وسلامته من الأدران والأحقاد والمفاسد ضرورة لمن أراد النجاة من النار كما قال عليه الصلاة والسلام: **«ألا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ على النَّارِ أو بِمَنْ تَحْرُمُ عليه النَّارُ تَحرُمُ على كل قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ»(الترمذي، ٢٠٠٥، ٤/٦٥٤).**

ومن آثار الصلاح القلبي، والرضا الرباني، والنعيم الدنيوي؛ أن العبد يطمئن بذكر الله ويُؤنس بالقرب منه فيزول عن قلبه ما علق به من الأدران قال تعالى:﴿ ﴾(سورة الرعد، الآية: ٢٨) وقال أيضًا: ﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ١٢٥).

أيضًا من النعم الربانية إلهام العبد الصبر والثبات عند الشدائد والمصائب لما فيه من الزيادة في كل خير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰ ⍰(سورة البقرة، الآية: ١٥٦) يضاف إلى ذلك السلامة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة قال تعالى: ⍰ (سورة المائدة، من الآية: ٤١).

المبحث الثاني

التعريـف بسـورة الأنعـام وفيــه

المطلب الأول

اسم السورة وترتيبها في المصحف

١- اسمها:

إن لبعض سور القرآن الكريم أسماء عدة تسمى بها تبعًا لما يغلب فيها من لفظٍ، أو موضوعٍ، أو حدثٍ، أو خصيصة تختص بها.

فقيل: سميت بهذا الاسم لما جاء فيها من ذكر مفصل لأحوال الأنعام ذوات الخفّ والظّلف من البقر، والإبل، والغنم وهي السورة الوحيدة التي عرضت لأحوالها بشكل مفصل وموسع كما وأشارت الى عقائد المشركين وجهالتهم فيما يتعلق بالأنعام المذكورة وعنيت بإبطالها واقامة الحجج والبراهين عليها(السيوطي، ٢٠٠٤، ١/١٩٧).

وقيل: سميت بهذا الاسم تبعًا لتكرار لفظ الأنعام فيها وليس لها إلا هذا الاسم الذي ورد ذكره في المصحف وكتب التفسير والسنة(ابن عاشور، ١٩٨٧، ٧/١٢١).

قال تعالى:﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية، ١٣٦).

وقال أيضًا: ﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية، ١٣٦).

وقيل: تسمى الحجّة، لأنها اشتملت علمًا كثيرًا من دلائل حجة النبوة(سورة الأنعام، الآية، ١٣٨، ١٣٩).

٢- ترتيبها:

وأما فيما يخص ترتيبها في المصحف فهي السورة السادسة من القرآن الكريم.

المطلب الثاني

فضلها ومكان نزولها

١- **فضلها:** من الفضائل والعلامات التي تتميز بها سورة الأنعام ما يلي:

أولًا: أنها من السبع الطوال: فمما ذكر في ذلك أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ المثاني وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»(الفيروزآبادي، ١٩٩٨، ١/ ١٨٧).

وقال أيضًا: « **من أَخَذَ السَّبْعَ الأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ**»(بن حنبل، ٢٠٠١، ١٠٧/٤).

ثانيًا: نزولها جملة واحدة: فيه دلالة على أهمية أصول الدين وعلى وجوب الأخذ والعمل بها على الفور ومما يدل على نزولها جملةً ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشِيعهُا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَهُم زَجْلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَحْمِيدِ**»(السيوطي، ٢٠٠٣، ٣/ ٢٤٣).

ثالثًا: تشييع الملائكة لها: كما ذكر عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق وهذا إن دل فإنه يدل على المنزلة الرفيعة لهذه السورة لما فيها من إبطال وتفنيد لعقائد المشركين مع بيان دلائل التوحيد وإثباتها(الرازي، ١٩٩٩، ١٢/ ٤٧١).

رابعًا: تكرار كلمة (قل): إذ تكررت (٤٤) مرة؛ وهي السورة الوحيدة التي تكررت فيها (قل) بهذا العدد.

٢- **مكان نزولها:** اختلف العلماء في مسألة مكيتها ومدنيتها على قولين:

القول الأول: القائلين بمكيتها مطلقًا(إذ نقل كل من ابن عبد البر، والقرطبي الإجماع على مكيتها(النسفي، ٢٠٠٨، ١/ ٤٨٩).

القول الثاني: القائلين بمدنية بعض آياتها لكنهم اختلفوا في عدد هذه الآيات على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها تسع آيات(الرازي، ١٩٩٩، ١٢/ ٤٧١) هي: (٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

١- □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ (سورة الأنعام، الآية: ٢٠).

٢- □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ (سورة الأنعام، الآية: ٢٣).

٣- □ (سورة الأنعام، الآية: ٩١).

٤- □ (سورة الأنعام، الآية: ٩٣).

٥- □ (سورة الأنعام، الآية: ١١٤).

٦- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ١٤١).

٧- [illegible] (سورة الأنعام، الآية: ١٥١).

٨- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ١٥٢)

٩- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ١٥٣).

القول الثاني: أنها ست آيات(الثعلبي، ٢٠٠٢، ٤/ ١٣١) هي: (٩٠، ٩١، ٩٣، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

١- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ٩٠).

٢- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ٩١).

٣- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ٩٢).

القول الثالث: أنها خمس آيات(الفيروزآبادي، ١٩٩٦، ١/ ١٠٥) هي: (٩١، ٩٣، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

١- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ٩١).

٢- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ٩٣).

٣- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ١٥١).

٤- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ١٥٢).

٥- [illegible](سورة الأنعام، الآية: ١٥٣).

وقد ذكر بعض العلماء أمثال الإمام الطبري(**الإمام الطبري:** هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، الحافظ لكتاب الله وإمام المفسرين ولد بمدينة آمُل بطبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة(٣١٠هـ). (الخطيب البغدادي، ٢٠٠١، ٢/ ١٥٩، ١٦٣) مسوغًا للرأي القائل بمدنية بعض

الآيات مثلًا كقوله تعالى:[illegible]...(سورة الأنعام، الآية: ٩١) قائلًا: ان سياق الآية الكريمة يخبر عن مشركي مكة لا يهود المدينة مضيفًا ان اليهود لا ينكرون إنزال الكتب إذ ليس

هذا من دينهم(الطبري،٢٠٠٠، ٥٢٤/١١).

كما أن مدنية بعض الآيات لا يخرج السورة عن كونها مكية مردفة قولي بما اتفق عليه جمهور العلماء من أن المكي هو ما نزل قبل الهجرة وان نزل بغير مكة.

والذي يقرأ التاريخ يجد العلماء قد صرحوا بزمن نزول السورة والذي يؤيد نزولها قبل الهجرة(ابن عاشور، ١٩٨٧، ٧/ ١٢١).

ومنهم من قال: بنزولها في السنة الخامسة أو السادسة، نظرًا لسعة الموضوعات المتمثلةِ بها السورة بالإضافة لطريقتها في الجدل مع المشركين المكذبين الذي يشعر بطول الإعراض والعناد والمكابرة(قطب، ٢٠٠٣، ٧/ ١٠٢٠).

المطلب الثالث

المقاصد التي اشتملت عليها السورة

عُنيت سورة الأنعام بأهم المقاصد وأعلاها شأنًا، وأجلاها قدرًا والتي هي "العقيدة الإسلامية" المتمثلة بإخلاص الألوهية والعبودية لله مع تصحيح ما يتصل بها من القضايا التشريعية بأسلوب مدجج بالبراهين الناصعة، والأدلة القاطعة التي تحمل بين طياتها أصولًا وقواعد توحيدية توكيدية.

فالمتأمل للسورة يجد إنكارهم لنبوته ﷺ وليوم البعث والنشور واضحًا جليًا، حيث أخبر الله عن شكهم وعدم تصديقهم:﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ٤) بالرغم من وضوح البيان ومشاهدة الأعيان الدالة على قدرته تعالى في ايجاد مخلوقاته، ودقة تشريعاته(ابن عاشور، ١٩٨٧، ٧/ ١٢٣-١٢٤) قائلًا: ﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ١) وقوله:﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ٢).

كما جاءت السورة لتعالج وترد على فساد ما انطوت عليه عقيدتهم المتخذة آنذاك والتي تجمع بين فسادهم القلبي والفعلي، فإلى جانب إشراكهم وإنكارهم ومع عدم

إيمانهم امتهنوا التشريع حسب أهوائهم من تحليل وتحريم في الذبائح والمطاعم، مع اختراع واقرار لشعائر انتهجوها في النذور مشتملة على الذبائح، والثمار، والأولاد(قطب، ٢٠٠٣،٧/ ١٠١٧-١٠١٩) قال تعالى: ﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ١١٩).

وقوله: ﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ١٣٦).

وهذا إن دل فإنه يدل على حقيقة لا امتراء فيها؛ ألا وهي فساد "العقيدة القلبية" التي انطوى عليها كل فرد جاهل معاند آنذاك وهذا مما لاشك فيه؛ ففساد القلب يوجب فساد الأفعال.

فجاءت السورة الكريمة لتطهر القلوب وتزكيها وترشد العقول وتنميها بمقاصد حكيمة وتوجيهات سديدة بأسلوب ترغيبي ترهيبي يلائم اعراضهم وانكارهم مع تذكيرهم بالوعد الرهيب المهيب: ﴿ ﴾(سورة الأنعام، الآية: ١٣٤)

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج المهمة

أبرزها أن سورة الأنعام قد أولت العبادات القلبية عناية خاصة، وجعلتها أساسًا راسخًا لبناء العقيدة الصـــحيحة، ومنطلقًا لكل عبادة ظاهرة وســلوك عملي. كما تبيّن أن مفهوم العبادة في الإســلام مفهوم شـــامل لا يقتصـــر على الأعمال الجوارحية، بل يمتد ليشـــمل أعمال القلوب من إيمان، وإخلاص، ومحبة، وخوف، ورجاء، ويقين، وهي العبادات التي عليها مدار القبول عند الله تعالى.

وأظهرت الدراســة أن العبادات القلبية تمثل الأصــل واللبّ، وأن فســادها يؤدي إلى فســاد العمل والسـلوك، وهو ما عالجته سـورة الأنعام من خلال نقض عقائد المشـركين، وبيان انحرافهم القلبي الذي انعكس على تشـريعاتهم وسـلوكهم. كما أكدت السـورة على أن صــلاح الفرد والمجتمع لا يتحقق إلا بصـلاح القلوب وتزكيتها، وأن نيل نعيم الدنيا والآخرة مرهون بسلامة القلب من الشرك والأهواء والشبهات.

وتوصي الدراسة بضرورة إحياء فقه العبادات القلبية، وربطه بالواقع المعاصر، وتعميق العناية بها في الدراســات القرآنية والتربوية، لما لها من أثر بالغ في بناء الإنســان المؤمن وتحقيق مقاصــد الشريعة.

المصادر

-القرآن الكريم

١. ابن الأنصاري، زكريا .(١٩٩١) .*الحدود الأنيقة* .دار الكتب العلمية.
٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر .(٢٠٠٢) .*إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان* (٢ مجلد). دار عالم الفوائد.
٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر .(٢٠٠٤) .*الفوائد* .دار الكتب العلمية.
٤. ابن دريد، محمد بن الحسن .(١٩٨٧) .*جمهرة اللغة* (تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ٣ مجلدات). دار العلم للملايين.
٥. ابن سيده، علي بن إسماعيل .(١٩٩٦) .*المخصص* (تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، ١١ مجلدًا). دار الكتب العلمية.
٦. ابن عاشور، محمد الطاهر .(١٩٨٤) .*التحرير والتنوير* (٣٠ مجلدًا). الدار التونسية للنشر.
٧. ابن عطية، عبد الحق بن غالب .(٢٠٠١) .*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ٥ مجلدات). دار الكتب العلمية.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم .(٢٠٠٥) .*لسان العرب* (١٥ مجلدًا). دار صادر.
٩. البخاري، محمد بن إسماعيل .(٢٠٠٢) .*صحيح البخاري* (تحقيق: محمد زهير الناصر، ٩ مجلدات). دار طوق النجاة.
١٠. بن حنبل، أحمد .(٢٠٠١) .*مسند الإمام أحمد* (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ٥٠ مجلدًا). مؤسسة الرسالة.
١١. الترمذي، محمد بن عيسى .(٢٠٠٥) .*سنن الترمذي* (تحقيق: بشار عواد معروف، ٥ مجلدات). دار الغرب الإسلامي.
١٢. الثعلبي، أحمد بن محمد .(٢٠٠٢) .*الكشف والبيان عن تفسير القرآن* (تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ١٠ مجلدات). دار إحياء التراث العربي.
١٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي .(٢٠٠١) .*تاريخ بغداد* (١٤ مجلدًا). دار الكتب العلمية.
١٤. الرازي، محمد بن عمر .(١٩٩٩) .*مفاتيح الغيب* (٣٢ مجلدًا). دار إحياء التراث العربي.
١٥. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد .(١٩٩٩) .*تفسير الراغب الأصفهاني* .دار القلم.
١٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر .(٢٠٠٠) .*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* . دار السلام.
١٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر .(١٩٩٨) .*مقاليد العلوم* .دار الكتب العلمية.

١٨. الســـيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر .(٢٠٠٣) .*الدر المنثور في التفســـير بالمأثور* (٨ مجلدات). دار الفكر.

١٩. الســـيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر .(٢٠٠٤) .*الإتقان في علوم القرآن* (٢ مجلد). دار الفكر.

٢٠. الشريف، محمد .(٢٠١٠) .*العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين* .دار القاسم.

٢١. الطبري، محمد بن جرير .(٢٠٠٠) .*جامع البيان في تأويل القرآن* (تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٤ مجلدًا). مؤسسة الرسالة.

٢٢. الغزالي، محمد بن محمد .(٢٠٠١) .*التبر المســـبوك في نصـــيحة الملوك* .دار الكتب العلمية.

٢٣. الغزالي، محمد بن محمد .(٢٠٠٤) .*إحياء علوم الدين* (٤ مجلدات). دار المعرفة.

٢٤. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب .(١٩٩٦) .*تنوير المقباس من تفســـير ابن عباس* .دار الكتب العلمية.

٢٥. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب .(١٩٩٨) .*بصـائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز* (٦ مجلدات). دار الفكر.

٢٦. قطب، سيد .(٢٠٠٣) .*في ظلال القرآن* (٦ مجلدات). دار الشروق.

٢٧. مسلم بن الحجاج .(٢٠٠٦) .*صحيح مسلم* (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥ مجلدات). دار إحياء التراث العربي.

٢٨. النســـفي، عبد الله بن أحمد .(٢٠٠٨) .*مدارك التنزيل وحقائق التأويل* (٣ مجلدات). دار الكلم الطيب.

References

١. Ibn al-Ansari, Zakariya. (١٩٩١). *Al-Hudud al-Aniqa*. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

٢. Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. (٢٠٠٢). *Ighathat al-Lahfan min Masayid al-Shaytan* (٢ vols.). Dar ‘Alam al-Fawa’id.

٣. Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. (٢٠٠٤). *Al-Fawa’id*. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

٤. Ibn Durayd, Muhammad ibn al-Hasan. (١٩٨٧). *Jamharat al-Lughah* (Ed. Ramzi Munir Baalbaki, ٣ vols.). Dar al-‘Ilm lil-Malayin.

٥. Ibn Saydah, ‘Ali ibn Isma‘il. (١٩٩٦). *Al-Mukhasas* (Ed. Khalil Ibrahim Jaffal, ١١ vols.). Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

٦. Ibn ‘Ashur, Muhammad al-Tahir. (١٩٨٤). *Al-Tahrir wa al-Tanwir* (٣٠ vols.). Al-Dar al-Tunisiyya lil-Nashr.

٧. Ibn ‘Atiyya, ‘Abd al-Haqq ibn Ghalib. (٢٠٠١). *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-‘Aziz* (Ed. ‘Abd al-Salam ‘Abd al-Shafi, ٥ vols.). Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

٨. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. (٢٠٠٥). *Lisan al-‘Arab* (١٥ vols.). Dar Sadir.

٩. Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma‘il. (٢٠٠٢). *Sahih al-Bukhari* (Ed. Muhammad Zuhayr al-Nasir, ٩ vols.). Dar Tuq al-Najat.

١٠. Ibn Hanbal, Ahmad. (٢٠٠١). *Musnad al-Imam Ahmad* (Ed. Shu‘ayb al-Arna’ut, ٥٠ vols.). Mu’assasat al-Risala.

١١. Al-Tirmidhi, Muhammad ibn ‘Isa. (٢٠٠٥). *Sunan al-Tirmidhi* (Ed. Bashar ‘Awwad Ma‘ruf, ٥ vols.). Dar al-Gharb al-Islami.

١٢. Al-Tha‘labi, Ahmad ibn Muhammad. (٢٠٠٢). *Al-Kashf wa al-Bayan ‘an Tafsir al-Qur’an* (Ed. Abu Muhammad ibn ‘Ashur, ١٠ vols.). Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi.

١٣. Al-Khatib al-Baghdadi, Ahmad ibn ‘Ali. (٢٠٠١). *Tarikh Baghdad* (١٤ vols.). Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

١٤. Al-Razi, Muhammad ibn ‘Umar. (١٩٩٩). *Mafatih al-Ghayb* (٣٢ vols.). Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi.

١٥. Al-Raghib al-Asfahani, al-Husayn ibn Muhammad. (١٩٩٩). *Tafsir al-Raghib al-Asfahani*. Dar al-Qalam.

١٦. Al-Sa‘di, ‘Abd al-Rahman ibn Nasir. (٢٠٠٠). *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*. Dar al-Salam.

١٧. Al-Suyuti, ‘Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. (١٩٩٨). *Maqalid al-‘Ulum*. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

١٨. Al-Suyuti, ‘Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. (٢٠٠٣). *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Ma’thur* (٨ vols.). Dar al-Fikr.

١٩. Al-Suyuti, ‘Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. (٢٠٠٤). *Al-Itqan fi ‘Ulum al-Qur’an* (٢ vols.). Dar al-Fikr.

٢٠. Al-Sharif, Muhammad. (٢٠١٠). *Al-‘Ibadat al-Qalbiyya wa Atharuha fi Hayat al-Mu’minin*. Dar al-Qasim.

٢١. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (٢٠٠٠). *Jami‘ al-Bayan fi Ta’wil al-Qur’an* (Ed. Ahmad Muhammad Shakir, ٢٤ vols.). Mu’assasat al-Risala.

٢٢. Al-Ghazali, Muhammad ibn Muhammad. (٢٠٠١). *Al-Tibr al-Masbuk fi Nasihat al-Muluk*. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

٢٣. Al-Ghazali, Muhammad ibn Muhammad. (٢٠٠٤). *Ihya’ ‘Ulum al-Din* (٤ vols.). Dar al-Ma‘rifa.

٢٤. Al-Firuzabadi, Muhammad ibn Ya‘qub. (١٩٩٦). *Tanwir al-Miqbas min Tafsir Ibn ‘Abbas*. Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya.

٢٥. Al-Firuzabadi, Muhammad ibn Ya‘qub. (١٩٩٨). *Basair Dhawi al-Tamyiz fi Lata’if al-Kitab al-‘Aziz* (٦ vols.). Dar al-Fikr.

٢٦. Qutb, Sayyid. (٢٠٠٣). *Fi Zilal al-Qur’an* (٦ vols.). Dar al-Shuruq.

٢٧. Muslim ibn al-Hajjaj. (٢٠٠٦). *Sahih Muslim* (Ed. Muhammad Fu’ad ‘Abd al-Baqi, ٥ vols.). Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi.

٢٨. Al-Nasafi, ‘Abd Allah ibn Ahmad. (٢٠٠٨). *Madarik al-Tanzil wa Haqa’iq al-Ta’wil* (٣ vols.). Dar al-Kalim al-Tayyib.